مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

من الاستنزاف إلى الاقتحام البري:

قراءة إستراتيجية في خيار الإنزال الجوي داخل إيران

تمهيد

نعرض في بداية هذا التحليل تأكيدًا على أن دراسة سيناريو الإنزال الجوي خلف خطوط الدفاع الإيرانية لا تعني تبنيه أو الدعوة إليه، كما لا يحمل هذا التحليل أي موقف مسبق برفض أو تأييد ذلك. غير أن الوقائع تشير إلى أن هذا الخيار – أو أشكالًا متعددة ومتدرجة منه – يظل قائمًا في كل الحروب، وخاصة الطويلة منها. ويبقى مصاحبًا لهذه الأزمة بكل وضوح، سواء على طاولات التخطيط العسكري أو في حسابات القيادة السياسية. وأعد هذا التحليل للتنوير وتبادل المعرفة في ظل أزمة محتدمة، وتوسيعًا لمدارك الباحثين والمهتمين، وليس بهدف الترويج لأي خيار عسكري أو إضفاء الشرعية عليه. والغاية هي الفهم وحده.

وهذه دراسة محايدة، لا تتبنى الرواية الأمريكية–الإسرائيلية، ولا الرواية الإيرانية، ولا أي رواية أخرى. إنما تعرض – في حدود المعلومات المتاحة من مصادر مفتوحة وتحليلات استراتيجية قابلة للتحقق – ما هو ممكن من سيناريوهات عسكرية وفلسفات هجوم ودفاع، في إطار الحرب الراهنة. وتستقرئ الدراسة ما يخص كل الأطراف، وتعرض حججهم كما هي، دون تحريف، ثم تحلل الاحتمالات العملية بناءً على المعطيات الميدانية والنظريات العسكرية المعترف بها، مع إشارة واضحة إلى حدود المعرفة والجهل. والهدف الوحيد هو الفهم، لا التأييد أو المعارضة.

تقديم

ومع ذلك، يظل تحليل صراعٍ لم يهدأ غباره بعد عملاً محفوفًا بعدم اليقين. فقد تؤدي ضربة نوعية تقودها الولايات المتحدة، أو اختراق استخباري عميق، إلى تغيير مسار المواجهة بالكامل خلال فترة وجيزة. وفي الحالة الإيرانية الراهنة، تشير مجمل المعطيات إلى وضع داخلي قابل للاهتزاز بدرجات متفاوتة. ففقدان قيادات مؤثرة، وتداخل مراكز القرار، والضغوط العسكرية والاقتصادية المتراكمة، كلها عوامل تُشكّل بيئة قابلة للاستجابة لاختراق خارجي أو لارتداد داخلي مفاجئ.

ومع ما يُنسب إلى الحملة من دقة استخبارية أمريكية–إسرائيلية عالية في استهداف مفاصل حيوية، تبقى احتمالات التحول الداخلي قائمة. وقد تصل هذه التحولات إلى إعادة تشكيل موازين القوة داخل النظام، بما يقترب من انقلاب داخلي أو إعادة ترتيب حاد في مراكز القرار. كما قد تظهر تحركات من داخله أو على هامشه تعترف بالحاجة إلى وقف الحرب، وتتجه نحو صيغة من الاستجابة المنظمة، أو حتى تعاون يُفضي إلى إنهائها. ومثل هذه المسارات، إن حدثت، قد تسرّع من تطور الأزمة. ومع ذلك، يظل من المبكر الجزم بطبيعتها أو مآلاتها النهائية.

ومع ما تقدم، ستركّز هذه الدراسة على سيناريو الإنزال الجوي بوصفه أحد أبرز الخيارات العملياتية المطروحة في مثل هذه البيئات المعقدة، وما يحمله من فرص وتحديات في ضوء المعطيات الميدانية والنظرية.

أولاً: الافتراضات الزمنية والميدانية

يعتمد هذا التحليل على افتراض أن مجريات الحرب قد بلغت نهاية الأسبوع السادس (حوالي العاشر من أبريل ٢٠٢٦م)، بعد أن استنفذت الضربات الجوية المشتركة ذخائرها الأولى وأظهرت نتائجها الميدانية. وهذا الافتراض الزمني يحدد صلاحية التحليل؛ إذ تختلف معطيات الأسبوع السادس اختلافًا جوهريًا

عن معطيات الأسبوع الأول أو الثالث. أي تغير كبير في مسار الحرب (مثل تدخل مفاجئ من دولة حليفة ومؤثرة، أو انهيار إيراني داخلي مفاجئ) قد يستدعي إعادة تقييم كاملة. ويفترض التحليل أيضًا استمرار التفوق الجوي الأمريكي–الإسرائيلي (وفقًا للمصادر الغربية) أو استمرار قدرة إيران على الرد (وفقًا للمصادر الإيرانية)، مع غياب تدخل بري من أطراف إقليمية كبرى (تركيا، باكستان، روسيا) في المرحلة الأولى.

ثانياً: المشهد الميداني – روايتان متوازيتان

لا يمكن فهم أي سيناريو عسكري دون الإقرار بوجود روايتين متعارضتين حول ما حدث في الأسبوع السادس. يعرض هذا التحليل هاتين الروايتين معًا، ثم يقدم خلاصة تحليلية.

الرواية الأولى: المصادر الغربية

وفقًا لهذه الرواية، حققت القوات الجوية الأمريكية والإسرائيلية تفوقًا جويًا شبه مطلق منذ الأيام الأولى. وتم تدمير نحو ٨٠٪ من منظومات الدفاع الجوي الإيرانية، بما في ذلك بطاريات S-٣٠٠ المتطورة. وتعرضت القواعد الجوية الرئيسية في تبريز وهمدان وشيراز وبندر عباس لأضرار بالغة، مما أفقد إيران القدرة على استخدام سلاح الجو التقليدي. كما استُهدفت البنية التحتية العسكرية والاقتصادية: مستودعات الذخيرة والوقود، والجسور والطرق، ومنشآت الكهرباء والمياه. وفي الساعات الأولى لهذه الحملة الحربية، قُتل المرشد الأعلى علي خامنئي وعدد من كبار قادة الحرس الثوري وفيلق القدس في ضربة استهدفت اجتماعًا للقيادة في طهران. وتشير تقارير استخباراتية إلى أن عناصر من الفرقة الأمريكية ٨٢ المحمولة جواً موجودة بالفعل في المنطقة، وأن خطط الإنزال جاهزة.

الرواية الثانية: المصادر الإيرانية

تصف إيران الحرب بأنها عدوان خارجي غير مبرر وحرب وجودية تهدف إلى إسقاط نظامها وسلب سيادتها. وتؤكد أن منظوماتها الدفاعية لم تنهار، وتستشهد بإسقاط طائرتين أمريكيتين (F–١٥E و A–١٠) في اليوم السادس والثلاثين. وتزعم أن شبكة الأنفاق تحت الأرض (خاصة في زاغروس وكرمان وأصفهان) تحمي الجزء الأكبر من قدراتها الصاروخية والمسيرة، وأنها احتفظت بأكثر من ٥٠٪ من قاذفات الصواريخ الباليستية والمجنحة وآلاف الطائرات المسيرة. وتعترف إيران بمقتل خامنئي لكنها تؤكد أن النظام لديه آليات خلافة وقيادة جماعية، وأن مجلس قيادة مؤقت (يجمع ممثلين عن الحرس الثوري ومجلس خبراء القيادة) يدير الحرب بكفاءة. وتنفي وجود احتجاجات داخلية واسعة، وتؤكد التفاف الشعب حول القيادة في مواجهة العدوان.

خلاصة تحليلية

يخلص هذا التحليل إلى أن الحقيقة تقع بين هاتين الروايتين. فإيران فقدت جزءًا كبيرًا من دفاعاتها الجوية التقليدية، لكنها احتفظت بقدرة هائلة على الهجوم غير المتماثل (الصواريخ والمسيرات) من مخابئ محصنة؛ إن صحت الرواية. والقوات البرية الإيرانية (جيش نظامي، حرس ثوري، باسيج) لم تتعرض لخسائر فادحة في الأفراد، وهي مدربة على حرب العصابات والدفاع في العمق. وأما مقتل خامنئي فيمثل ضربة موجعة، لكن النظام أظهر تاريخيًا قدرة على البقاء والتماسك. ولما تقدم فالوضع الداخلي معقد: هناك استياء حقيقي من الأوضاع الاقتصادية والسياسية، لكن الحرب خلقت حالة تعبئة وطنية لدى شريحة لا يستهان بها من الإيرانيين الذين يرون في الغزو الخارجي تهديدًا للسيادة الوطنية. ومن المرجح ألا تنهار إيران من الداخل تلقائيًا دون صدمة خارجية كبرى.

ثالثاً: الرواية الإيرانية للصراع – الأهداف والدوافع

في إطار تقديم صورة متكاملة، يعرض هذا التحليل رؤية إيران للصراع كما تعبر عنها هي.

أهداف إيران المعلنة:

- الدفاع عن السيادة الوطنية: تصف الحرب بأنها عدوان أمريكي–إسرائيلي غير مبرر يهدف إلى إسقاط نظامها، مستندة إلى تاريخ من التدخلات الغربية (انقلاب ١٩٥٣م، ودعم صدام حسين في حرب الثمانينيات، والعقوبات المستمرة، واغتيال العلماء النوويين، والانسحاب من الاتفاق النووي).

> **الحرب خلقت حالة تعبئة وطنية لدى شريحة لا يستهان بها من الإيرانيين الذين يرون في الغزو الخارجي تهديدًا للسيادة الوطنية. ومن المرجح ألا تنهار إيران من الداخل تلقائيًا دون صدمة خارجية كبرى**

- حقها في برنامج نووي سلمي: تؤكد أن برنامجها النووي مخصص للأغراض السلمية، وأنها طرف في معاهدة عدم الانتشار، بينما إسرائيل تمتلك أسلحة نووية دون توقيع المعاهدة.

- طرد القوات الأجنبية من المنطقة: تطالب بانسحاب جميع القوات الأمريكية من الشرق الأوسط، وتعتبر وجودها احتلالاً.

- رفض الهيمنة الغربية: ترى نفسها قائدة «محور المقاومة» ضد ما تصفه بالهيمنة الأمريكية والصهيونية.

كيف ترى إيران الإنزال الجوي؟

من وجهة نظر إيران، أي إنزال جوي أمريكي هو اجتياح بري يهدف إلى احتلال البلاد، وستتعامل معه كحرب وجودية قصوى. وتشمل خططها المضادة: تفعيل شبكة الأنفاق وحرب المدن، وإغراق المهاجمين بهجمات غير متماثلة (مسيرات انتحارية، صواريخ محمولة، عبوات ناسفة)، استهداف خطوط الإمداد، فتح جبهات إقليمية عبر الوكلاء، والاعتماد على «الصبر الاستراتيجي» لتحويل أي وجود عسكري للعدو إلى مستنقع استنزاف.

رابعاً: فلسفات الحرب – من الغرب إلى الشرق

لفهم لماذا يظل سيناريو الإنزال الجوي مطروحًا، يعود هذا التحليل إلى الجذور النظرية للفكر العسكري.

١. صن تزو (الصين، القرن السادس قبل الميلاد): المقاربة غير المباشرة

يقول صن تزو في «فن الحرب»: «الجيش الماهر يضرب حيث لا يتوقع العدو، ويتقدم حيث لا يُدافَع عنه». وهنا فنقاط القوة الإيرانية واضحة (الجبال، والممرات، والميليشيات، والاستنزاف). والهجوم المباشر عبر الحدود سيكون مواجهة لهذه القوة، بينما الإنزال الجوي هو المقاربة غير المباشرة بامتياز، حيث يتجاوز نقاط القوة ويظهر في العمق حيث لا يتوقع العدو وجود قوات برية. لكن صن تزو حذر أيضًا: «إذا كنت ضعيفًا، فتظاهر بالقوة. وإذا كنت قويًا، فتظاهر بالضعف». إيران قد تستخدم هذه الحكمة ضد المهاجم، بإظهار ضعفها الدفاعي لإغرائه بالإنزال ثم نصب كمين ضخم في العمق.

٢. كلاوزفيتز (بروسيا، ١٧٨٠–١٨٣١م): مركز الثقل والاحتكاك

يقول كلاوزفيتز في كتابع بعنوان «عن الحرب– On War": "ليست الحرب إلا استمرار للسياسة بوسائل أخرى». ويضيف ما معناه: مركز الثقل هو المحور الذي يعتمد عليه كل شيء، وتدميره يؤدي إلى انهيار العدو. وفي إيران، ليس مركز الثقل شخصًا واحدًا (خامنئي قُتل)، بل المنظومة المتكاملة: القيادة الجماعية، والحرس الثوري، وشبكة الأنفاق، والصواريخ، والباسيج، والوكلاء. ويمكن للإنزال الجوي أن يضرب هذه المنظومة من الداخل بتعطيل الاتصالات والسيطرة على مراكز القيادة. لكن كلاوزفيتز حذر أيضًا من «الاحتكاك»: «كل شيء في الحرب بسيط، لكن أبسط الأشياء تصبح صعبة». والاحتكاك في هذه الحالة يعني مجموعة العوامل غير المتوقعة التي تعرقل التنفيذ، من أخطاء بشرية وظروف ميدانية وتعقيدات لوجستية. وفي حالة الإنزال الجوي على إيران، فالاحتكاك سيكون هائلًا: مسافات طويلة (أكثر من ١٠٠٠ كيلومتر من أقرب قاعدة)، وتضاريس وعرة، وعدو متمرس، وإمدادات جوية هشة. أي طائرة نقل تُسقط تعني وقف الإمداد ليوم أو أكثر.

٣. توخاتشيفسكي (الاتحاد السوفيتي، ١٨٩٣–١٩٣٧م): العمليات العميقة

طور توخاتشيفسكي نظرية «العمليات العميقة» التي تقوم على توجيه ضربات متزامنة على كامل عمق تشكيلات العدو، وليس فقط على خط المواجهة. فالقوات المحمولة جواً هي أداة أساسية لتحقيق هذا العمق، حيث تنزل خلف خطوط العدو لشل الاحتياطيات وتدمير خطوط الإمداد. وفي حالة إيران، تشكل الجبال والممرات خطوط دفاع طبيعية. وتجاوزها بإنزال جوي يعني ضرب العمق مباشرة. لكن توخاتشيفسكي افترض وجود جبهة أرضية تتقدم من الأمام بالتزامن مع الإنزال. وفي حالة إيران، لا توجد مثل هذه الجبهة

(لعدم وجود دول مجاورة تسمح بغزو بري واسع)، مما يعني أن القوات المنزّلة جوّا ستكون معزولة نسبيًا، وهذا يزيد المخاطر بشكل كبير.

> **قد تتساءل القيادة الإيرانية: «إذا استطاعوا إنزال قوات هنا، فأين لا يستطيعون الوصول؟» لكن ليدل هارت حذر أيضًا: المقاربة غير المباشرة تتطلب سرعة وحسمًا**

٤. ليدل هارت (بريطانيا، ١٨٩٥–١٩٧٠م): المقاربة غير المباشرة

قال المؤرخ العسكري البريطاني باسل ليدل هارت ما معناه: طوال التاريخ، نادرًا ما نجحت الهجمات المباشرة. فالنجاح يأتي من إرباك العدو، وشل توازنه، ثم ضربه في نقطة ضعفه. وفي حالة إيران، فالهجوم المباشر هو غزو بري من العراق أو تركيا، وهو متوقع ومستعد له. والإنزال الجوي في العمق هو غير مباشر، والصدمة النفسية قد تكون أكبر من الصدمة العسكرية. وقد تتساءل القيادة الإيرانية: «إذا استطاعوا إنزال قوات هنا، فأين لا يستطيعون الوصول؟» لكن ليدل هارت حذر أيضًا: المقاربة غير المباشرة تتطلب سرعة وحسمًا. فإذا تمكن العدو من امتصاص الصدمة وإعادة تنظيم صفوفه خلال أيام، فإن القوات المنزلة تصبح معزولة ومحاصرة.

٥. فلسفات الدفاع الإيرانية: المقاومة، والحرب غير المتماثلة، والدفاع في العمق

في مقابل هذه النظريات الهجومية، طوّرت إيران فلسفات دفاعية خاصة بها، تتمثل في:

أ. مفهوم «المقاومة» كأيديولوجية: ليست المقاومة مجرد تكتيك عسكري، بل هوية وثقافة ورواية تاريخية. وقد تأسست الجمهورية الإسلامية على رواية الصمود ضد ما تسميه «الاستكبار العالمي» (الولايات المتحدة وإسرائيل). وهذه الرواية تمنح النظام شرعية وقدرة على حشد الشعب وتحمل تكاليف الحرب الطويلة. وفي سياق الإنزال الجوي، «المقاومة» تعني: لن نستسلم، سنقاتل حتى النهاية، وسنحوّل أي احتلال إلى مستنقع.

ب. الحرب غير المتماثلة: جوهر العقيدة الإيرانية هو تجنب مواجهة القوة العظمى بقوة مكافئة (مستحيل تكنولوجيًا)، واستغلال نقاط ضعف الخصم بدلاً من ذلك: اعتماده على خطوط الإمداد الطويلة، وحساسية رأيه العام للخسائر البشرية، والتكلفة المالية الهائلة. الأدوات: الصواريخ والمسيرات (تكلفة قليلة مقابل ضرر كبير)، والألغام البحرية (إغلاق هرمز بتكلفة زهيدة)، والعمليات الانتحارية، حرب العصابات.

ج. الدفاع في العمق: مفهوم طوره السوفييت في الحرب العالمية الثانية، تبنته إيران في حرب الثمانينيات. الفكرة: عدم التمسك بالحدود، بل السماح للعدو بالتقدم، وإطالة خطوط إمداده، واستنزافه، ثم شن هجمات مضادة. وفي حالة الإنزال الجوي، سينسحب الإيرانيون من المناطق المكشوفة، ويتمركزون في الجبال والمدن، ويقطعون الطرق، ويستنزفون العدو ببطء.

د. شبكات الأنفاق والتحصينات: استثمرت إيران عقودًا في بناء شبكة هائلة من الأنفاق تحت الجبال (زاغروس، كرمان، أصفهان). تخزن فيها الصواريخ والمسيرات ومراكز القيادة. بعضها محصن ضد القنابل الخارقة للتحصينات. وهذه الأنفاق تجعل الضربات الجوية التقليدية غير فعالة، وتحتاج إلى قوات برية لتدمير المداخل والمخارج.

هـ. الباسيج والتعبئة الشعبية: الباسيج (قوات التعبئة الشعبية) هي مليشيا هائلة العدد (مئات الآلاف إلى مليون متطوع). لا تدريب لهم على حرب المناورات، لكنهم مدربون على حرب العصابات: المراقبة، وزرع العبوات الناسفة، والقنص، والعمليات الانتحارية. وفي حالة الإنزال الجوي، سيكونون العين والأذن والحنجرة للمقاومة المنتشرة. وكل جندي أمريكي يتحرك سيرصد، وكل طريق يسلكها ستزرع، وكل مبنى يدخله سيفخخ.

خامساً: السيناريوهات المتدرجة للإنزال الجوي

بدلاً من سيناريو واحد جامد، يعرض هذا التحليل سلسلة متصلة من الاحتمالات، تختلف حسب الهدف وحجم القوة ومستوى المخاطرة.

السيناريو الأول: عمليات الاقتحام المحدودة

الأهداف المحتملة: جزيرة خرج (مصدر ٩٠٪ من صادرات النفط الإيرانية)، ميناء بندر عباس الاستراتيجي، ومطار جوي داخلي (مثل همدان أو شيراز)، ومنشأة نووية حساسة (مثل نطنز أو فردو أو أصفهان).

القوة: ١,٥٠٠ إلى ٣,٠٠٠ جندي من القوات الخاصة (دلتا، سيلز، رينجرز) والمظليين من الفرقة ٨٢ المحمولة جواً.

المدة: ساعات إلى أيام قليلة. إما الانسحاب بعد تحقيق الهدف أو التمركز الدفاعي في منطقة محدودة جدًا.

المخاطر: منخفضة نسبيًا مقارنة بالسيناريوهات الأخرى. يمكن إخلاء القوات جوًا إذا تعثرت العملية.

الجدوى: عالية. هذا النوع من العمليات تمارسه الولايات المتحدة بانتظام (ليبيا ٢٠١١م، عملية قتل البغدادي ٢٠١٩م، وغيرها).

الرد الإيراني المحتمل: هجوم صاروخي ومسيرات مكثف على القوات المنزّلة والقواعد الخلفية؛ وإعلان تعبئة عامة للباسيج؛ وتكثيف الهجمات على الملاحة في الخليج عبر الألغام البحرية والمسيرات الانتحارية؛ هجمات إلكترونية على شبكات القيادة الأمريكية.

السيناريو الثاني: إنشاء رأس جسر (التصعيد التدريجي)

الهدف: السيطرة على مطار داخلي استراتيجي وتحويله إلى قاعدة عمليات متقدمة (رأس جسر) تسمح بإدخال قوات إضافية ومدرعات خفيفة وإمدادات.

القوة: لواء مظلي كامل (٣,٥٠٠–٤,٢٠٠ جندي) من الفرقة ٨٢، مع وحدات مدفعية خفيفة وطيران قتالي. بعد السيطرة، تبدأ طائرات C-١٧ و C-١٣٠ في إنزال قوات إضافية ومدرعات خفيفة. المدة: أيام إلى أسابيع.

المخاطر: عالية جدًا. عملية إنشاء رأس جسر هي من أخطر العمليات في العقيدة العسكرية. القوات المنزلة تكون في أضعف حالاتها خلال الساعات والأيام الأولى.

الجدوى: متوسطة. تتطلب غطاءً جويًا كثيفًا، وحربًا إلكترونية ناجحة، واستخبارات دقيقة، وقرارًا سياسيًا حازمًا.

الرد الإيراني المحتمل: حشد قوات الحرس الثوري والباسيج لمحاصرة رأس الجسر؛ وقصف المطار بالصواريخ والمسيرات بشكل متواصل لتعطيل المدرج؛ واستهداف طائرات النقل أثناء هبوطها بصواريخ محمولة على الكتف.

السيناريو الثالث: الضربة الحاسمة نحو طهران (تغيير النظام)

الهدف: إنزال قوات كبيرة بهدف التقدم نحو العاصمة طهران، والسيطرة عليها، وإسقاط النظام، وإقامة سلطة بديلة.

القوة: فرقتان محمولتان جوًا (الفرقة ٨٢ والفرقة ١٠١) بإجمالي يصل إلى ٣٥,٠٠٠–٤٠,٠٠٠ جندي، مدعومة بألوية من القوات الخاصة، وطيران قتالي كثيف، وقوات بحرية، وحرب إلكترونية وسيبرانية واسعة.

المدة: أسابيع إلى شهور. حرب المدن في طهران (٩ ملايين نسمة) قد تستغرق وقتًا طويلاً وتكلفة بشرية ومادية هائلة.

المخاطر: استراتيجية ووجودية. فهذا السيناريو يحمل كل مخاطر غزو العراق مضروبة في عدة عوامل: مساحة أكبر بأربع مرات، وسكان أكثر بثلاث مرات تقريبًا، وتضاريس أصعب، وقومية أكثر رسوخًا، وقدرة إيرانية أكبر على حرب العصابات.

الجدوى: ضعيفة. لا توجد شهية أمريكية لاحتلال طويل الأمد، والتجارب في العراق وأفغانستان تجعل أي رئيس يتردد.

الرد الإيراني المحتمل: تحويل طهران إلى حصن داخلي (تحصين كل مبنى حكومي وعسكري، نصب الكمائن، زرع العبوات الناسفة)؛ تفعيل شبكات الأنفاق تحت المدينة؛ قتال شوارع عنيف؛ استهداف خطوط الإمداد بشكل منهجي؛ فتح جبهات إقليمية عبر الوكلاء.

السيناريو الرابع: فتح جبهات برية متعددة بالتزامن مع الإنزال

يفترض هذا السيناريو أن الولايات المتحدة تحصل على تسهيلات من دول مجاورة (العراق، تركيا، أذربيجان، باكستان) لاستخدام أراضيها لشن هجمات برية بالتزامن مع الإنزال. التحليل العميق يظهر أن العقبات السياسية والدبلوماسية هائلة، والدول المجاورة تفضل الحفاظ على استقرارها وعدم الانجرار إلى حرب إقليمية موسعة. والخيار الأكثر واقعية هو الاعتماد على القواعد الأمريكية الموجودة بالفعل في المنطقة (والتي تعمل بموجب اتفاقيات ثنائية تحترم سيادة الدول المضيفة). ولذلك، يظل هذا السيناريو نظريًا أكثر منه عمليًا في الوقت الحالي.

السيناريو الخامس: التحرك نحو الحدود بعد الإنزال

يفترض هذا السيناريو أن الإنزال الجوي لا يستهدف طهران مباشرة، بل يستهدف السيطرة على ممرات حدودية أو مناطق ساحلية لتسهيل دخول قوات برية تقليدية لاحقًا. لكن هذا يعيدنا إلى المعضلة نفسها: لا توجد دول مجاورة مستعدة للغزو البري في المدى المنظور. لذا يظل هذا السيناريو نظريًا أيضًا.

سادساً: التقييم القانوني

هذا التقييم يستند إلى ميثاق الأمم المتحدة والقانون الدولي الإنساني، ويعرض وجهات النظر المختلفة دون تبني أي منها.

من وجهة نظر قد تتبناها الولايات المتحدة وإسرائيل: قد يُزعم أن الإنزال الجوي يأتي في إطار حق الدفاع عن النفس بموجب المادة ٥١ من الميثاق، استنادًا إلى الهجمات الإيرانية السابقة (هجمات الوكلاء على القواعد الأمريكية، التهديد النووي الوشيك، وكل أسباب شن هذه الحملة الحربية الراهنة). وقد يُزعم أيضًا أن مجلس الأمن عاجز عن اتخاذ إجراء (بسبب الفيتو الروسي والصيني)، مما يبيح اتخاذ إجراءات جماعية أحادية.

ومن وجهة نظر إيران: سترى أن الإنزال الجوي هو عمل عدواني بامتياز، انتهاك صريح للمادة ٢(٤) من الميثاق التي تحظر «استخدام القوة أو التهديد بها ضد السيادة السياسية أو السلامة الإقليمية لأي دولة». وسترى أن الحرب برمتها بدأت بعدوان أمريكي-إسرائيلي غير مبرر.

> **قد يُزعم أيضًا أن مجلس الأمن عاجز عن اتخاذ إجراء (بسبب الفيتو الروسي والصيني)، مما يبيح اتخاذ إجراءات جماعية أحادية**

التحليل المستقل: لم يصدر مجلس الأمن أي تفويض باستخدام القوة ضد إيران. ولذلك، فأي عمل عسكري أحادي الجانب يعتبر انتهاكًا للميثاق، ما لم يثبت أنه دفاع عن النفس «فوري وضروري ومتناسب» تحت المادة ٥١. حتى لو قُبل دفاع عن النفس مبدئيًا، فإن إنزال قوات بهدف تغيير النظام أو احتلال العاصمة قد يعتبر غير متناسب. كما أن حرب المدن في طهران قد تنتهك القانون الدولي الإنساني (مبادئ التمييز والتناسب والاحتياط) إذا لم تلتزم القوات المهاجمة بحماية المدنيين. ومن المرجح أن يعتبر المجتمع الدولي (باستثناء حلفاء أمريكا وإسرائيل) أي إنزال جوي بري دون تفويض أممي عملاً غير قانوني.

سابعاً: التحديات الجوهرية

١. القدرات الصاروخية والمسيرة الإيرانية

إيران لا تزال تمتلك ترسانة هائلة من الصواريخ (باليستية ومجنحة) والطائرات المسيرة (انتحارية وهجومية)، معظمها مخبأ في شبكة أنفاق تحت الجبال يصعب تدميرها من الجو. ويمكن لهذه القدرات استهداف القوات المنزّلة وقواعدها الجوية وخطوط إمدادها بشكل شبه يومي. والاعتراض الجوي لهذا الكم الهائل من الرمايات الإيرانية يتطلب نظام دفاع جوي كثيفًا ومكلفًا، وقد لا يكون متاحًا للأمريكيين بسهولة في العمق الإيراني. وستعيش القوات المنزّلة تحت «مظلة تهديد» دائمة.

٢. أزمة القيادة الإيرانية بعد خامنئي

مقتل المرشد الأعلى خلق فراغًا في قمة الهرم، لكن النظام لديه آليات خلافة. ثلاثة سيناريوهات محتملة؛ وعلى افتراض أن مجتبى خامنئي عاجز صحياً وعملياً عن القيادة:

- التماسك عبر مجلس قيادة مؤقت: النظام لا يزال قادرًا على التنسيق، لكن بوتيرة أبطأ. وهذا هو الوضع الحالي المرجح.
- انقسام عمودي: بين متشددين ومعتدلين نسبيًا، مما قد يؤدي إلى شلل جزئي أو اشتباكات داخلية، مما يسهل مهمة المهاجم.
- انهيار القيادة المركزية: إذا قُتل عدد آخر من كبار القادة، فقد تتحول الحرب إلى فوضى أمراء حرب، مما يسهل السيطرة على مناطق محددة لكنه يعقد الاستسلام المركزي.

٣. خيارات "اليوم التالي" – من يحكم إيران بعد إسقاط النظام؟

هذا هو التحدي الأكبر والأكثر إهمالاً في التحليلات العسكرية. الخيارات المتاحة (كلها صعبة):

- حكومة انتقالية مدعومة من الخارج: قد تضم شخصيات إصلاحية، لكنها قد تفقد شرعيتها بسرعة إذا نظر إليها الإيرانيون على أنها «دمى أجنبية». وتجربة العراق ٢٠٠٣م كانت كارثية في هذا المجال.
- الجمهورية الإسلامية الجديدة (تغيير القيادة مع إبقاء الهيكل): إبقاء الدستور والمؤسسات الدينية، لكن تغيير المرشد والقادة المتشددين. هذا هو «السيناريو الفنزويلي». وقد يكون أقل تكلفة وأكثر قبولاً شعبياً، لكنه يبقي جزءًا من النظام القديم قائمًا.
- التفكك الفيدرالي أو الانفصال العرقي: إيران تضم أقليات قومية كبيرة (أكراد، بلوش، أذريون، عرب، تركمان). سقوط النظام المركزي قد يؤدي إلى حروب أهلية وتدخلات أجنبية (تركيا، باكستان، دول الخليج، إسرائيل). وهذا أسوأ سيناريو للاستقرار الإقليمي.
- فوضى شاملة (كما في ليبيا ٢٠١١م): قد لا يظهر أي بديل قوي، وتتحول إيران إلى ساحة صراع بين فصائل متعددة. وهذا سيكون كابوسًا للجيران وللقوات المنسحبة.

٤. العامل البشري للقوات الأمريكية

تعاني القوات المحمولة جواً من إرهاق العمليات المتكررة (العراق، وأفغانستان، وسوريا، واليمن،

والصومال). الجيش الأمريكي اليوم أصغر مما كان عليه في ٢٠٠٣م (حوالي ٤٥٠–٥٠٠ ألف جندي نشط مقارنة بـ ٥٧٠ ألفاً). والاحتياطيات محدودة، وهناك التزامات في أوروبا (أوكرانيا) وآسيا (تايوان). والاعتماد على العتاد الحديث يعني حاجة مستمرة لقطع الغيار، التي قد لا تصل بسرعة في بيئة محاصرة. والشعب الأمريكي تعب من الحروب الطويلة في الشرق الأوسط. وأي عملية تتحول إلى مستنقع ستقابل باحتجاجات داخلية وضغوط سياسية هائلة لسحب القوات.

ثامناً: دور دول مجلس التعاون الخليجي

دول مجلس التعاون الخليجي تلتزم بسياساتها الراسخة في الحفاظ على أمنها واستقرارها، وتعمل ضمن إطار التحالف الدولي لمواجهة التهديدات الإقليمية، وفي مقدمتها التهديدات الصاروخية والمسيرة الإيرانية التي استهدفت منشآتها الحيوية في الماضي– ولا تزال تستهدف المصالح الخليجية في إطار الحرب الراهنة. وفي سياق الأزمة الحالية، تواصل هذه الدول جهودها الدبلوماسية والإنسانية لخفض التصعيد، وتقدم تسهيلات لوجستية وإنسانية وفقًا للقانون الدولي واتفاقيات التعاون المشترك مع حلفائها.

ولا يمكن افتراض أي دور عسكري مباشر لدول الخليج في سيناريو الإنزال الجوي داخل العمق الإيراني، إذ أن أولوياتها تنصب على حماية أمنها القومي واستقرار مجتمعاتها، والمساهمة في إيجاد حلول سياسية للأزمات، وضمان أمن إمدادات الطاقة العالمية. ومن المهم أن يحترم أي تحليل استراتيجي سيادة هذه الدول وخياراتها المستقلة، ولا يفترض مواقف أو سلوكيات لا تتفق مع سياساتها المعلنة وقراراتها السيادية. ويبقى دورها المحوري في دعم الاستقرار الإقليمي، وأمن الطاقة، والعمل الإنساني، والوساطة الدبلوماسية عندما تتاح الفرصة.

تاسعاً: الخلاصة

بعد هذا التحليل الطويل، يمكن تلخيص النتائج الرئيسية على النحو التالي:

أولاً، من حيث الإمكانية التقنية: الولايات المتحدة قادرة تقنيًا على تنفيذ إنزال جوي في العمق الإيراني. لديها القوات (الفرقة ٨٢، الفرقة ١٠١، قوات العمليات الخاصة)، والقدرات (الأقمار الاصطناعية، الحرب الإلكترونية، الطيران بعيد المدى)، والتدريب. ولكن «الإمكانية هنا» لا تعني الترجيح أو عدمه.

ثانيًا، من حيث السيناريو الأكثر واقعية: السيناريو الأكثر جدوى ومعقولية هو العمليات المحدودة (الاستيلاء على جزيرة خرج، أو بندر عباس، أو مطار استراتيجي، أو منشأة نووية) بقوات خاصة ومظليين، مع إمكانية الانسحاب أو التمركز الدفاعي. أما السيناريو الشامل (تغيير النظام عبر احتلال طهران) فهو مغامرة كبرى قد تتحول إلى مستنقع طويل الأمد.

ثالثًا، من حيث التحديات: الجغرافيا والتضاريس ليست في صالح المهاجم (جبال، وصحاري، وأنفاق، ومدن مزدحمة). القدرات الإيرانية غير المتماثلة لا تزال فاعلة (صواريخ، ومسيرات، باسيج). وستكون خطوط الإمداد للقوات المهاجمة عبر الانزال الجوي هشة وأي انقطاع قد يؤدي إلى كارثة. وأما العامل البشري للقوات الأمريكية (الإرهاق، النقص العددي، الروح المعنوية) فيمثل نقطة ضعف جوهرية.

رابعًا، من حيث اليوم التالي: أكبر تحدٍ على الإطلاق هو «ماذا بعد إسقاط النظام؟». من سيحكم إيران؟ وكيف ستمنع الحرب الأهلية؟ وكيف سيمنع التفكك العرقي؟ وكيف سيعاد بناء الاقتصاد؟ هذه الأسئلة ليس لها إجابات سهلة، وتجارب العراق وأفغانستان وليبيا تظهر أن تغيير النظام بالقوة العسكرية نادرًا ما يؤدي إلى الاستقرار.

خامسًا، من حيث الشرعية القانونية: من المرجح أن يعتبر المجتمع الدولي إنزالاً جويًا دون تفويض أممي عملاً غير قانوني. كما أن حرب المدن في طهران قد تنتهك القانون الدولي الإنساني.

سادسًا، من حيث دور دول المنطقة: دول مجلس التعاون الخليجي تحافظ على سيادتها واستقرارها، ولا يمكن افتراض أدوار عسكرية مباشرة لها في هذا السيناريو. وتبقى أدوارها في الدبلوماسية، والعمل الإنساني، وأمن الطاقة.

توصيات

في ضوء هذا التحليل، يمكن تقديم التوصيات التالية للباحثين وصانعي السياسات:

١. تحديد الهدف بدقة قبل أي تحرك: «إسقاط النظام» ليس هدفًا عمليًا. ويجب أن يكون الهدف محددًا وقابلًا للتحقيق وقابلًا للقياس (مثل: تأمين الملاحة في الخليج، وتدمير القدرات الصاروخية في غرب إيران، وتحييد المنشآت النووية). وكل هدف يتطلب خطة مختلفة وحجم قوة مختلفًا.

٢. عدم الخلط بين القدرة على الدخول والقدرة على الخروج منتصرًا: فالقدرة على إنزال قوات لا تعني القدرة على إمدادها وحمايتها وإعادة انتشارها. ويجب أن تكون خطة الخروج واضحة قبل خطة الدخول.

٣. في حال تآكل النظام داخلياً وسقوطه، فيجب أن تكون هناك خطة متكاملة لـ «اليوم التالي» تشمل ترتيبات الحكم الانتقالي. وكيف ستمنع الفوضى والحرب الأهلية؟ وكيف ستحمي الأقليات؟ وكيف ستعيد بناء الاقتصاد؟

٤. تقييم القدرات الصاروخية والمسيرة الإيرانية كعامل حاسم: لا تستهِن بهذه القدرات. فالقوات المنزلة ستعيش تحت تهديد دائم. ويجب تدمير أكبر قدر ممكن من هذه القدرات قبل الإنزال، وتوفير دفاعات جوية كثيفة للقوات المنزلة جواً.

٥. مراعاة العامل البشري للقوات الأمريكية: الإرهاق، والنقص العددي، والروح المعنوية، والرأي العام في الداخل الأمريكي كلها عوامل حاسمة. ولا يمكن الاعتماد على قوات مرهقة في عملية بهذا الحجم والتعقيد.

٦. احترام سيادة دول المنطقة: لا يمكن افتراض أدوار عسكرية لدول الخليج أو جيران إيران دون موافقتها الصريحة. ويجب أن يتم العمل من خلال الأطر الدبلوماسية والتعاونية القائمة.

٧. استنفاد الخيارات الدبلوماسية أولاً: العقوبات، والضغط الدبلوماسي، ودعم المعارضة الداخلية، والضربات الجوية المحدودة، وكلها خيارات يجب استنفادها قبل التفكير في إنزال بري.

خاتمة

إن سيناريو الإنزال الجوي في العمق الإيراني ليس فكرة جنونية أو خارج الصندوق بالكلية، بل هو خيار عملياتي موجود في عقائد الحرب الكبرى، ومطروح على طاولات التخطيط العسكري في كل حرب طويلة تصل إلى طريق مسدود. وهذا التحليل لا يتبنى هذا الخيار ولا يدعو إليه، بل يهدف إلى تنوير الباحثين والمهتمين بمعرفة أبعاده وتعقيداته، من منظور متوازن يعرض روايات الأطراف المختلفة وفلسفات الهجوم والدفاع، دون انحياز أو تهويل.

والخلاصة الأهم هي أن القدرة التقنية على الدخول لا تساوي النجاح الاستراتيجي. فالجغرافيا، والتضاريس، والقدرات الإيرانية غير المتماثلة، وأزمة القيادة، والعامل البشري للقوات الأمريكية، والأهم من كل ذلك «اليوم التالي» – كلها عوامل تجعل هذا السيناريو محفوفًا بمخاطر قد تفوق أي مكسب عسكري محتمل. وتبقى الحلول الدبلوماسية، مهما كانت صعبة ومريرة، أقل كلفة من الحلول العسكرية الشاملة لأي طرف.

وفي النهاية، تبقى كلمات كلاوزفيتز حاضرة: «أول واجب للاستراتيجية هو تحديد الهدف النهائي، وثاني واجب هو تحديد الثمن الذي نحن على استعداد لدفعه». وفي حالة إيران، الثمن – بشريًا، وماليًا، وسياسيًا، وقانونيًا – قد يكون أعلى مما تتحمله أي إدارة أو جيش.

هذا التحليل هو دراسة استراتيجية أكاديمية بحتة، أُعد بناءً على مصادر مفتوحة متاحة حتى الإسبوع الأول من أبريل ٢٠٢٦م. ولا يعبر عن الموقف الرسمي لأي جهة حكومية أو عسكرية أو سياسية. كما لا يشكل دعوة إلى الحرب أو تأييدًا لأي خيار عسكري محدد. والغرض الوحيد هو إثراء النقاش المعرفي حول تعقيدات الصراعات المعاصرة، وتوسيع مدارك الباحثين والمهتمين.

Gulf Research Center
Knowledge for All

مركز الخليج للأبحاث
المعرفة للجميع

يعبر هذا المقال عن أفكار وآراء الكاتب، ولا يعبر بالضرورة عن رأي المركز

Gulf Research Center Jeddah (Main office)

19 Rayat Alitihad Street
P.O. Box 2134
Jeddah 21451
Saudi Arabia
Tel: +966 12 6511999
Fax: +966 12 6531375
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Riyadh

Unit FN11A
King Faisal Foundation
North Tower
King Fahd Branch Rd
Al Olaya Riyadh 12212
Saudi Arabia
Tel: +966 112112567
Email: info@grc.net

Gulf Research Center Foundation

Avenue de France 23
1202 Geneva
Switzerland
Tel: +41227162730
Email: info@grc.net

Gulf Research Centre Cambridge

University of Cambridge
Sidgwick Avenue,
Cambridge CB3 9DA
United Kingdom
Tel:+44-1223-760758
Fax:+44-1223-335110

Gulf Research Center Foundation Brussels

4th Floor
Avenue de
Cortenbergh 89
1000 Brussels
Belgium
grcb@grc.net
+32 2 251 41 64